قضايا التداولية في التراث العربي:
الآليات التداولية واستنطاق النصوص
ذاكرة الماء- أنموذجا-

أ. بوبكر عريبي، جامعة الجزائر2
البريد الإلكتروني:
boubakeuraribi@gmail.com

الملخص: تناولنا من خلال هذا المقال تحليلا لرواية؛ ذاكرة الماء؛ لمؤلفها "واسيني الأعرج" وهو نصّ يعكس تجربة إنسانية في صراعها مع البقاء وإثبات الهوية، وليست إلا تجربة الجزائريِّ مع أحداث العشرية السّوداء، الّتي نقلت لنا الرواية بعضا من أحداثها بصورة إبداعيّة، وقد حاولنا من خلال هذا الموضوع استشفاف مدى فاعلية آليات هذا المنهج النقدي، الذي مثلته التّداوليّة في وصف النّصوص الأدبيّة وتحليلها انطلاقا من الإشكالية الآتية: هل التّداوليّة باعتبارها منهجا نقديا معاصرا كفيلة باستيعاب الخطابات السّردية في التّحليل، دون التّمييز بين قديمها وحديثها؟ وهل تنطبق معظم الآليات التّداوليّة كإجراءات وصفية تحليلية على رواية (ذاكرة الماء) باعتبارها نصّا سرديّا حداثيا؟ وما هي الآلية التّداوليّة الأكثر تمثّلا في نصّ الرّواية؟ ولماذا؟ وما الذي يمكن أنْ نستشفه من خلال توظيف هذه الآليات التّداوليّة في تحليل الرّواية؟

كما رصدنا في هذه الدراسة تبني السّارد استراتيجية زاوج فيها بين اللّغتين؛ اللغة العاميّة واللغة الفصحى، المطعمتين بالكثير من الحركات والإشارات، المبثوثة في ثنايا المتن الرّوائي، والّتي لا تَعدّها التّداوليّة بريئة، بل تَعدّها من صميم اهتماماتها، مما أثرى عمليّة التّحليل؛ فحرصت التّداوليّة كلّ الحرص للاهتمام بالملابسات الّتي تكتنف هذه الخطابات، من الدّاخل نصّي وخارجه ممّا وسّع من مجال التّعدد القرائي وكثافة التّأويل، وقد ساعدنا في ذلك التّوسل بالبعد التّداولي للأفعال الكلاميّة، وأدوات الاستلزام الحواري، على بقيّة الآليّات التّداوليّة الأخرى، باعتبار أنّ الحوارات في الرّواية قامت بين شخوص متباينة في المعتقدات والمستويات الثّقافية، واعتماد هذه الآليّات قد أسعفنا في القبض على المقصديّة العامّة والّتي من أجلها أُلّفت الرّواية، كما أنها هدف ينشده كل دارس/قارئ.

الكلمات المفتاحية: منهج، نقد، الرواية، الخطاب، التّداوليّة، التّأويل، الآليّات، التّحليل استراتيجية، أفعال الكلام، المقصدية...إلخ.

Résumé: nous avons étudié à travers cet article le roman " dakirat elmaa" celle que " wassini alaradj" à écrite il s'agit d'un texte qui reflète une expérience humanitaire pour démontrer l'identité et ce n'est que l'expérience de l'Algérien pendant la décennie noir, et afin de faire une analyse approfondi nous avons adopté l'approche pragmatique à partir de problématique suivantes est ce que la pragmatique en tant que approche critique contemporain est capables d'analyser les discours narratifs sans faire de distinction entre l'ancien et le nouveau est ce que la plupart des mécanisme pragmatique sont - elles applicable dans ce cas? et quel est la mécanisme la plus représenté ? et quelles résultats qui peuvent être obtenu en utilisant ces mécanisme ?

nous avons constaté à travers notre étude faite sur le roman " dakirat elmaa " que le narrateur à tendance utiliser une stratégie de mélanger entre la langue soutenue et la langue familier qu'il a rempli d'un nombre de gestes et de signes dans le

corps du roman et que le mécanisme pragmatique considéré au coeur de ses intérêts Notre étude était également fondé sur la dimensions pragmatique des actes de language et l'implicateur conversationnel étant donné que les dialogue dans le roman ont été entre des personnes différentes de conviction et de niveau culturel L'utilisation de ces mécanismes nous à aider à trouver l'intention dans cette roman.

Mots clés: Méthode, critique, roman, discours, pragmatique, Interprétation, analyse, stratégie, actes de langage, l'intentionnalité.

مقدمة: لم يكن تحليل الخطاب الرّوائي بالجديد على المناهج النّقدية المعاصرة، ولكن الجديد فيه؛ هو إيجاد المنهج الكفيل بتحليل هذه الخطابات، بحكم تعدّد هذه المناهج النّقدية الّتي تختلف في منطلقاتها ومفاهيمها ومصطلحاتها، حيث إنّه بإمكان المحلّل أنْ يُطوّع المنهج للنّص موضوع التّحليل، ومن غير الممكن أنّ يُطوّع النّص الذي هو بصدد تحليله للمنهج، تجنبا منه للإسقاط، ومنه فالنّص الرّوائي؛ هو المادّة الخام الّتي تستدعي منهجا نقديا كفيلا باستنطاقها واستكناه خباياها، ومن هذا الاعتبار قد يكون من الممتع لنا حقًا، أن نحلّل النّص الرّوائي؛ ذاكرة الماء بالوقوف على إجراءات المنهج التّداولي نظرا لما توفّره لنا التّداوليّة من إجراءات، وبخاصّة بعدما استطاع مُنَظِّرون أمثال: "أوستين" و"سورل" و"جرايس" و"إيكو"...وغيرهم، أنْ يفتحوا أفاقًا واسعة وإدراج أبعاد جديدة صارت أُسسًا يستحيل الاستغناء عنها في فهم أبعاد اللّغة والخطاب.

وتكمن الصّعوبة الّتي تعيق الباحث الذي يرغب في تطبيق الآليات التّداوليّة على أيّ خطاب كان، في ذلك الكمّ الهائل من المصطلحات والمفاهيم، الّتي نشأت من مشارب، ومنابع متفاوتة بحكم الاختلاف في التّوجّه الابستيمي لكلّ باحث، وتداخلها على مستويات عديدة، مما حذا ببعض الباحثين إلى «الدّعوة والعمل على محاولة وضع تصنيف منهجي، يسمح بمقاربة اللّغة بإجراءات تكون أكثر فاعليّة، ونتائج التّحليل أكثر نجاعة»[1]، وذلك لكون التّداوليّة لا تعمل على تقويم الأخطاء اللّغويّة، بل تدرس اللّغة من وجهة نظر وظيفيّة عامّة، وما يخصّها هو مقصديّة المتكلّم وفهم السّامع من وراء الخطاب المتبادل بينهما، ومن هنا تحدّدت لدينا إشكاليّة المداخلة الّتي تمّ صياغتها على النّحو الآتي:

- ما ذا يمكن أن تحقّقه لنا التّداوليّة بأدواتها الإجرائية على نصّ رواية ذاكرة الماء؟
- هل توظيف الآليّات التّداوليّة على نصّ الرّواية بإمكانها أن تكفل لنا التّوفيق بين مقصديّة المرسل وفهم المتلقي؟

ومن منطلق الأسئلة السّابقة الّتي كانت مدعاة لاختيارنا لهذا الموضوع، هناك أسبابا أخرى تعدّ أكثر أهميّة جعلتنا نختار هذا الموضوع من أهمّها:

- رغبة منّا أنْ تكون دراستنا هذه تكملة لبعض الجهود الجبّارة الّتي سعت لأنْ تدفع بالأدب الجزائري قدما ليحتلّ مساحة شاسعة من السّاحة الأدبية على المستوى العربي والعالمي، لأنّه أدب يُعبّر عن هويتنا وانتمائنا الحضاري والثّقافي.
- عدم عثورنا على دراسة تداوليّة تتناول هذه الرّواية بالنّقد والتّحليل.
- مزاوجة الرّواية بين اللّهجة العاميّة واللّغة الفصحى، في أدائها للخطابات، والتّداوليّة تتناول الخطاب في سياقه وفق مقامات معيّنة، إذْ تدرس اللّغة قيد الاستعمال، بغضّ النّظر عن نوع اللّغة المستعملة.

● **الآليات التّداوليّة بين قصد المؤلّف وفهم السّامع:** لكي نقدّم دراسة متكاملة من خلال قراءتنا لرواية ذاكرة الماء استوجب علينا توظيف الآليّات والإجراءات الكفيلة بالتّحليل، لأنّها تمثّل شرطا ضروريًّا للتّأويل، المتحوّل والمتطوّر باستمرار، حتّى نكون بصدد تجشّم مصاعب البحث والتّحليل في معالجة الرّواية والّتي تتطلّب منّا كقرّاء، أنْ نبذل جهدًا لا متناهيا لكي نملأ الفراغـــات (ما قِيل وما لم يُقل) وهذا لا يعني أنّ كلّ مهمّتنا من قراءة الرّواية هو ملء الفراغات وكفى، بل سمحت هذه القراءة بإقامة تّبادل بيننا وبين الرّواية، على أساس من الجدليّة المستمرة والمحاورة الدائمة، فأنشأنا بذلك نصًّا موازيا للنّص المقروء، كان ذا أبعاد استراتيجية استنزفتْ منّا كلّ طاقاتنا المعرفيّة وخلفيّاتنا الفكريّة، من أجلّ القبض على مقاصد صاحب النّص، وهذا ما حذا بنا إلى اعتماد الإجراءات التّالية:

● **البعد التّداوليّ لأفعال الكلام في الرّواية:** توعز الدّراسات التّداوليّة أنّ نظرية الأفعال الكلاميّة ذات خلفيّة فلسفيّة ومنطقيّة والتي قد تبنّاها "جون أوستين"(John Austin) (1960/1911) ثم عَمَّقَهَا "جون سورل" (John

●تحت الإنشائيّات هو جمل تُقالُ لا لوصف، وهي ليست صادقة أو كاذبة إنّما التّلفظ بها هو جزء من القيام بفعل»[7] ومنه تتلخّص أهميّة الكلمة فيما تحمله من قوّة (force) في أدائها

(Searle وتوصف بأنّها أحد أهمّ محاور الدّرس التّداولي الحديث[2] كما «عُنِي"أوستين" بلغة التّداول، وذلك من خلال مؤلفه: **How to do thing with words?»**[3] وقد لاقت هذه النظرية رواجا كبيرا في أوساط الدِّراسات اللّسانيّة المعاصرة، فيرى "أوستين" أنّ الفعل لا يمكن أن نفهم معناه إلاّ إذا استحضرنا على الدّوام باب انجاز الفعل الإداري: أي القرار الإداري»[4]، وأقام فكرته على أمرين؛ رفضه ثنائيّة الصّدق والكذب. وإقراره بأن كل قول (énoncé) عبارة عن عمل(acte). فرأى أنّه لكي ننجز فعلاً كلاميًا، وجب أنْ أؤدي فعلاً صوتيًا»[5]، أي يكون الفعل مقترنًا بالصّوت، فخلص إلى أنّ «ثنائيّة (الخبر والإنشاء) مدار الحدث؛ وأنّ الإنشاء يفيد الابتكار أَنْشَأْتُهُ؛ أي ابتكرتُهُ من غير أن يكون في الخارج... فنحن في الكلام ننجز الأشياء، أي نخرجها من حيّز العدم إلى الوجود»[6]، فقام بـ:

● **تقسيم الأفعال الكلاميّة:** قسّم "أوستين" الجملة الخبريّة إلى: «وصفيّة (constative) وإنشائيّة (performative) على أساس أنّ ما وضعه

لفعل من الأفعال بغضّ النّظر عن صدقها أو كذبها. انطلاقا من تّقسيمه للمنطوقات اللّغوية وفق الشّكل التّالي:

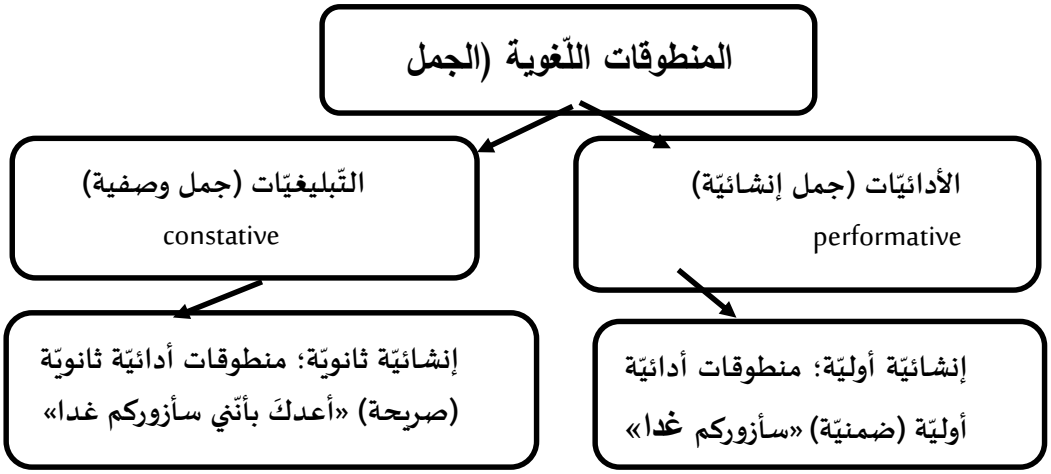

وقد اعتمدت الرّواية هذا النّوع من الجمل الأدائيّة، بحكم أنّ طبيعتها تستدعي ذلك، لأنّها تعتمد على الحوارات القائمة بين شخوصها، كما هو الشّأن في هذا المقطع الحواري الدّائر بين الرّجلّ والسّارد في المطعم: «دَعَوْتُهَا (صديقة السّارد) **إلى مطعم صغير في زاويّة الشّارع الكبير... حتّى دخل علينا رجلّ يشبه الشّرطيّ، أو العسكريّ، ولكنّه لم يكن كذلك. كان خليطا من هذا وذاك. طلب أوراقي...متزوجان؟...نعم.** »[8]

يبدو واضحا من تلفّظ السّارد بالعبارة الخطابية: **(نعم)** في الظّروف المناسبة ليس وصفا لقيامه بالفعل، الّذي يفترض أن يؤدّيه، عندما أَقدَم على هذا التّلفظ: **نعم**، ولا هو إخبار بأنّه سيقوم بهذا الفعل، بل هو عين القيام بهذا الفعل.

لقد بذل "أوستين" جهدًا بالغاً في التّمييز بين الأفعال الأدائية والوصفيّة، حيث أعاد النّظر في هذا الّتقسيم، وتبيّن له في النّهاية أنّ الحدود بين النّوعين من الأفعال، لا تزال غير واضحة. فعمد إلى ضبط الفعل الكلامي، الذي يمكن أن يتمظهر وفق أنماط متعدّدة نذكر منها:

- **أنماط الفعل الكلامي:** "يرى أوستين" أنّه: «يشكّل التّلفظ بكلّ عبارة لغويّة إنجاز أفعال لغويّة ثلاثة؛ **فعل القول، وفعل الإنجاز، والفعل التّأثيري**، وهي ليست أفعالا ثلاثة يستطيع المتكلّم أن يؤديها واحدا وراء الآخر، بل هي جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدهما عن الآخر إلاّ لغرض الدّراسة فحسب»[9]، كما ينقسم **فعل القول** بنفسه إلى ثلاثة أفعال هي: (الفعل الصّوتي) و(الفعل التّركيبي) و(الفعل الدّلالي) ويمكن توضيح ذلك من خلال الخطاطة التّاليّة:

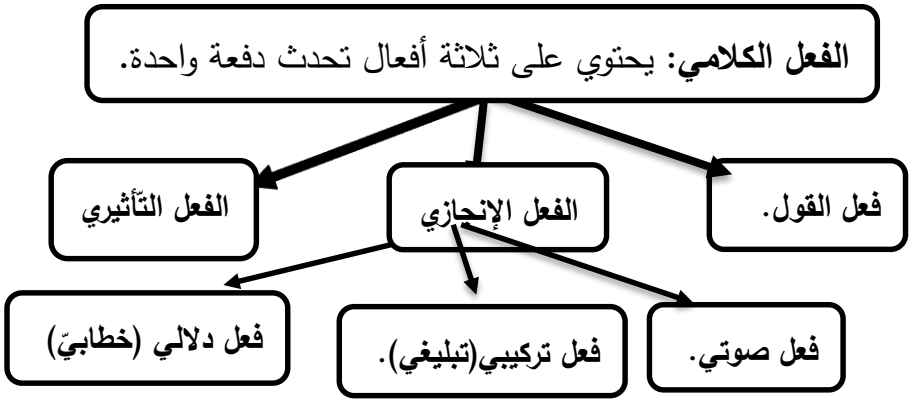

ويعمل «هذا التقسيم الذي أجراه "أوستين" **لفعل الكلام**؛ على حمل المتحدّث أثناء تأديته لأيّ فعل كلامي أنْ يؤثّر على المستمع بطريقة تجعله يبني علاقة شخصيّة معه»[10] كما يتجلّى لنا من الحوارات القائمة بين الشّخوص الرّوائية، حين يتناوبون على مرسلات لغويّة يتبادلونها بينهم يتمظهر من خلالها الفعل الكلامي بأنماط مختلفة، مثل العبارة التّاليّة:

«...كلّما تحدثتُ بصوت عالٍ، تنبّني ريما، وهي تضع يدها على فمي. بابا للحائط آذان»[11].

قدّمنا هذا المثال لمّا تَوَسَّمْنَا فيه النّجاعة على تأديّته لفعل الكلام بصيغتين مختلفتين؛ **(فعل الكلام الإشاري وفعل الكلام الاستعاري (مجازي)** كما يلي:

I) **فعل الكلام الإشاري:** يمكننا أن نستشفّ الفعل الكلاميّ من خلال العبارة: **(تضع يدها على فمي)** أي البنت **(ريما)** عندما يتكلّم

أبوها بصوت مرتفع تعمل على إسكاته، بأن تضع يدها على فمه؛ **(أنْ أسكت يا أبي)**. لقد تَمَثَّلَ الفعل الكلاميّ هنا في **لغة الإشارة**؛ هو وضعُ ريما يدها على فم أبيها. وتنضوي تحت الفعل الكلاميّ؛ الأقسام الأخرى الّتي تؤلّفه، كما يلي:

أ-فعل القول: يحدث عند «النّطق بأصوات لغويّة ينتظمها تركيب نحوي صحيح، ينتج عنه معنى محدّد»[12] أو قُلْ هو إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة، ذات بناء نحويّ سليم، وذات دلالة والمثال عليه من الرّواية لم يكن بالكلام المنطوق؛ أي بالأداء الفيزيائي للصّوت، بَلْ حَلَّت الإشارات محلّ التّلفظ بالكلمات، كما توضّحه العبارة: **تضع يدها على فمي**، بمعنى؛ **(أسكت يا أبي)**.

كما تُكوِّن «فعل القول؛ ثلاثة أفعال لغويّة فرعيّة، **الفعل الصّوتي**، **والفعل التّركيبي** (تبليغي) و**الفعل الدّلالي** (خطابي)»[13] فيتجسد لنا فعل القول بكامل مستوياته كما يلي:

1-الفعل الصّوتي: التّلفّظ بسلسلة الأصوات المنتميّة إلى لغة معيّنة، فالعبارة المنطوقة ضمنيّة هي الإشارة باليدّ، تنتمي إلى عرف لغوي مخصوص: **(تضع يدها على فمي)** = **(أسكت يا أبي)**

2-الفعل التّركيبي: يؤلّف بين مفردات، طبقا لقواعد لغة معيّنة؛ والتّأليف بين المفردات الضّمنيّة للعبارة الغائبة (**أسكت يا أبي**) الّتي حلّ محلّها: (وضعت يدها على فمي).

3-الفعل الدّلالي: هو توظيف هذه الأفعال، حسب معان وإحالات محدّدة، فمدلول العبارة الضّمنيّة للإشارة **(تضع يدها على فمي)** يمكن أنْ نفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي أمر بالسّكوت، أم تحذير من أنْ يسمعه الآخرون. والتّلفظ **بفعل القول** يكون محمّلاً بـ :

ب-الفعل المتضمّن في القول (acte illocutoire)**:** وهو ما يعبّر عنه أيضا بالفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنّه عمل يُنجز بقول ما، وهذا الصّنف هو المقصود من نظرية الأفعال الكلاميّة برمّتها، ويقصد به ما يؤدّيه الفعل التّلفظي من وظيفة في الاستعمال، كالوعد والوعيد والنّصح والتّحذير والشّهادة...الخ، «والفرق بين فعل القول والفعل المتضمّن في القول؛ أنّ **الثّاني** هو قيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل **الأوّل** الذي هو مجرد قول شيء»[14]، وتمثله العبارة؛ **(تضع يدها على فمي)** وهي إشارة باليد، تنمّ عن ملفوظ ضمني؛ (أسكت يا أبي).

كما يرى " أوستين" أنّ المتلفّظ بالفعل قد يكون قائما بفعل ثالث؛ هو التّأثير في المخاطب وهذا الفعل يسمى:

ج-الفعل النّاتج عن القول: ويسمى أيضا الفعل التّأثيريّ، بعد القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمّن في القول (القوّة الإنجازية) يكون الفاعل (وهو الشّخص المتكلّم) قائما بفعل ثالث هو التّسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر والجسد (كالخوف أو الهرب أو تعديل السّلوك أو إقناع ..)[15]، كعبارة: **(تضع يدها على فمي)**، وهي إشارة غير لغويّة، عندما قامت بها "**ريما**" أحدثت بها فعلا سلوكيًّا، قام به المتلقي (أبوها) من خلال الأثر الذي تركته في نفسه؛ بأنْ هيّأته لأنْ يُغيّر من سلوكه، حيث عَدَلَ عن التّكلّم بصوت مرتفع. كما توضّحه الخطاطة:

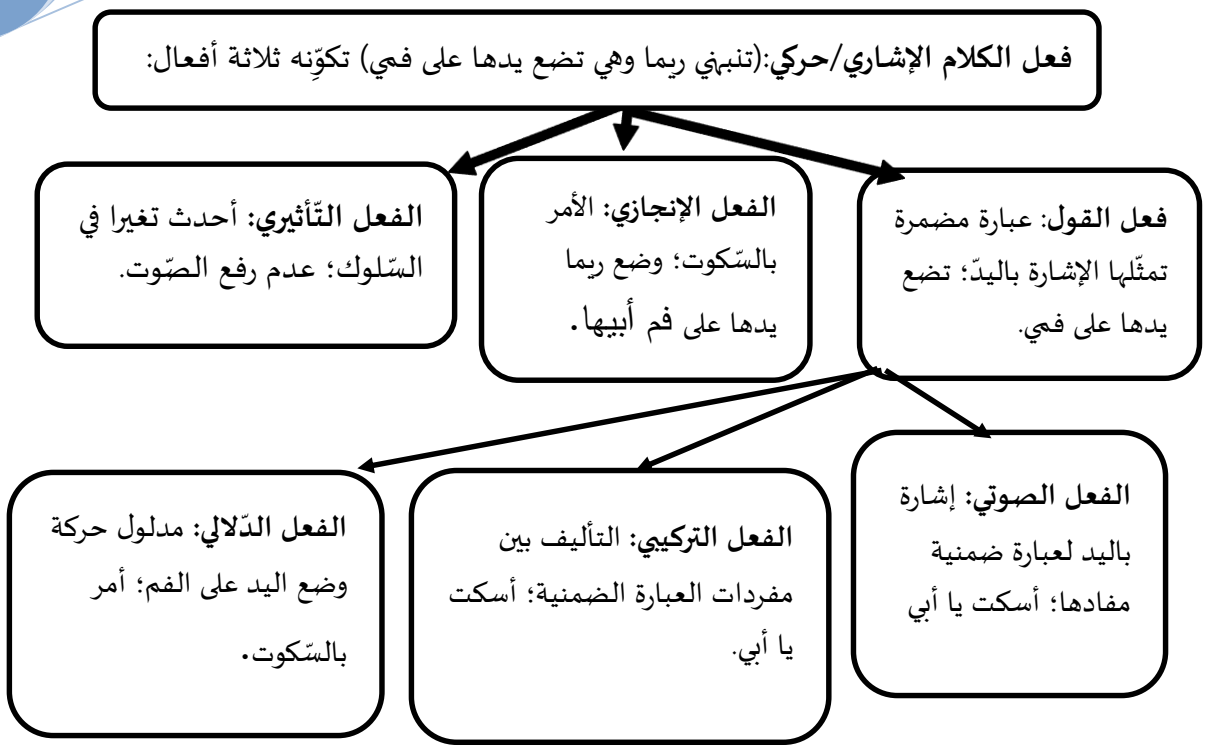

II) **فعل الكلام الاستعاري**: ويمثله قول السّارد: **(كلّما تحدثتُ بصوت عالٍ، تنبّهي ريما وهي تضع يدها على فمي، بابا للحائط آذان)** يتجسّد لنا الفعل الكلامي، من خلال المرسلة: **(بابا للحائط آذان)** وهو عبارة مجازيّة تنمّ عن استعارة مكنية، أدّت لنا فعلا كلاميا بجميع مستوياته (فعل القول) و(الفعل المتضمّن في القول) و(الفعل التّأثيريّ). من اعتبار أنّ:

التراكيب حسب دلالاتها »[17]، فمَعْنَى العبارة الاستعاريّة: **(بابا للحائط آذان)** تحيل على أنّ النّاس قد يسمعون كلام أبيها، فهي إماّ: **أمرا** بالسّكوت، أو **نهيا** عن رفع الصّوت.

أ-**فعل القول:** يمثّله الأداء الفزيائيّ لأصوات العبارة اللّغويّة: **(بابا للحائط آذان)** وهو مجرد قول شيء، وينقسم فعل القول بدوره إلى ثلاثة أفعال:

1-الفعل الصّوتي: «يظهر عند النّطق بالعبارة، وإخراجها على شكل أصوات أو قرع (bruit)»[16] **(بابا للحائط آذان)**.

2-الفعل التّركيبيّ: ويتمثّل في الوحدات اللّغويّة، الّتي تتكوّن منها العبارة: (بابا + لِ + ال+ حائط +آذان) حيث تكون هذه الوحدات اللّغويّة متتاليّة وفق قانون العرف اللّغويّ، لتؤدّي وظيفة على مستوى الفعل الدّلاليّ.

3-الفعل الدّلاليّ: وهو «حمل المعنى المقصود من التّلفظ بالعبارة، أي تستعمل فيه

ب- **الفعل المتضمّن في القول:** ويعبّر عنه بالفعل الإنجازيّ، حيث يرى "أوستين" أنّ «الإنجاز الكلامي بوجه عام، إن جازَ هذا القول، هو في ذات الأمر أيضا إنجاز قوّة فعل الكلام...فبإنجازنا لفعل كلامي، سنكون أيضا منجزين لبعض ما تناوله كلامنا، وما لم يتناوله ويتبيّن ذلك من أنّنا قد ننطق بجملة يفهم منها أكثر ما أردنا»[18] فبإنجاز "ريما" لفعل القول: (بابا للحائط آذان) تكون قد نَطَقَتْ بجملة، يفهم منها أكثر ما أرادت، فالعبارة فِعْلُها الإنجازي غير ظاهر سطحاً، لكنّ المفهوم منه ضمناً؛ هو نهي ريما لأبيها عن رفع صوته. كما

تفصح عن محيط يفتقد للأمن مع سلب لحرية الكلام في الأمر المباح ناهيك عن الخوض في الكلام الذي يضرّ بالآخر..

ج-الفعل النّاتج عن القول (acte perlocutoire): بعد القيّام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمّن في القول (القوّة) فقد يكون الفاعل (ريما) قائما بفعل ثالث هو إنشاء أو ترك آثار في مشاعر أبيها؛ حيث أقنعته بأنّ (رفع صوته) هو عين الخطأ، فوجّهته إلى أن يُعدّل سلوكه (بأن لا يرفع صوته) وهذا التّوجيه؛ هو الفعل النّاتج عن القول أو الفعل التأثيري. وقد أدرك "أوستين" أنّ «الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلاّ به، وأنّ الفعل التّأثيري لا يلازم الأفعال جميعا، ومن ثمّ كان الفعل الإنجازي عنده أهمّها جميعا، فوجّه إليه همّه، وأصبحت تُعرف بنظرية الفعل الإنجازي أو النظرية الإنجازية»[19]، ويرتبطّ الفعل الإنجازي عند "أوستين" ارتباطًا وثيقًا بمقصد المتكلّم. ويمكن أن توضّحه الخطاطة التّاليّة :

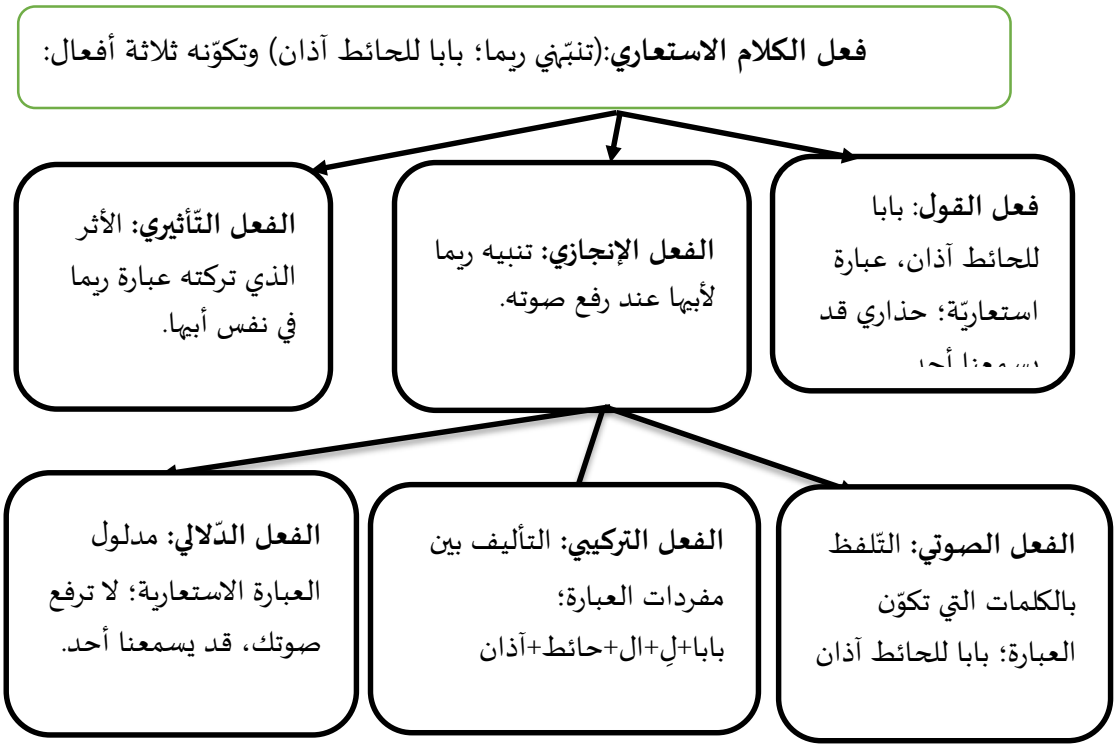

III) فعل الكلام الصّريح: ومثاله؛ هذا الحوار بين السّارد وابنته: «**ريما...أدلي الستائر، أريد أن أنام**»[20] جاءت العبارة اللّغويّة بـ (صيغة الأمر) والّتي تتضمّن بدورها:

أ-فعل القول: وتمثّله أصوات العبارة: **ريما أدلي السّتائر**، خروجها على شكل أصوات فيزيائيّة، عند النّطق بها، وتنحصر على أفعال القول الثّلاثة:

1-الفعل الصّوتي: يتمثّل في النّطق بالعبارة: **(ريما أدلي الستائر)** ويكون ملازما لـ:

2-**الفعل التّركيبيّ**: المتمثّل في الوحدات اللّغويّة الّتي تُكَوِّنُ العبارة: (ريما+ أدل+ ي+ الستائر) ويصاحب هذين الفعلين:

3-**الفعل الدّلاليّ**: ويتمثّل في حمل المعنى المقصود من التّلفظ بالعبارة: **(ريما أدلي الستائر)** فالمَعْنَى المستقى من العبارة واضح؛ هو الأمر بإسدال الستائر. وليس بإزاحتها.

ب-الفعل المتضمّن في القول: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي؛ فهو القيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل فعل القول الذي هو مجرد قول شيء «والفعل الإنجازي يشتمل على أمر زائد هو القوّة (force) الّتي للقول»[21]، فيقال للعبارة: ريما أدلي الستائر، في موضع ما، أنّ لها قوّة الخبر وفي موضع آخر، أنّ لها قوّة الأمر، وهذه الأخيرة (قوّة الأمر) يكون لها اقتران بالسّياق لتحديد قصد المتكلّم، أو غرضه من الكلام، إلاّ أنّ الفعل المتضمّن في القول يظهر أثره من خلال:

ج-الفعل النّاتج عن القول: وهو ما يعرف بالفعل التّأثيري، ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب فيهيّئه، لأن يعطي تجاوبا مع الفعل الذي تلقّاه؛ كأن يقبل بفكرة أو يطرحها، أو يقوم بعمل ما، أو يبدي رأيا...إلخ، فعبارة: ريما أدلي الستائر، يترك في نفسها أثراً تتكيّف من خلاله مع الأمر فتقوم بإسدال السّتائر لأنّها تمتلك الحريّة مع القدرة على القيام بالفعل.

لقد قمنا بعرض هذه الأنماط المتعدّدة لأفعال الكلام، والتي قد تكون إجابتنا من خلالها أكثر جرأة إذا قلنا أنّ السّارد قد تبنّى استراتيجيّات متعدّدة على سبيل المثال لا الحصر، في اعتماده على الأفعال الكلاميّة وتوظيفها بأنماط مختلفة، ومتعدّدة، من أجل أنْ يحقّق من خلالها أهدافاً ومقاصداً تتمثّل في **استراتيجية إقناعيه**؛ يعمل من خلالها على محاولة إيهام المتلقّي وإقناعه بصحة المنقول من الأخبار، **واستراتيجية تضامنيّة**؛ يسعى من ورائها إلى استقطاب المتلقي وجعله متضامنًا ومتودّدا معه، حتى يذهب مذهبه وهذا أقصى ما يتمنّاه كلّ مرسل.

- **تصنيف سورل للأفعال اللّغويّة:** أعاد "سورل" تصنيف الأفعال اللّغويّة الخمسة، والتي جاء بها أستاذه "أوستين"، ويمكننا العمل على استخلاصها من الرّواية، كما يلي:

1-الإخباريّات: وغرضها الإنجازي أن يعمد المتكلّم في وصف لواقعة معيّنة من خلال قضيّة ما (proposition) ويدخل فيها «ما تنقله الصّحف ونشرات الأخبار إلينا، حول ما يدور في العالم من أحداث، وشؤون عسكريّة وسياسيّة وثقافيّة...وأفعال هذه الأصناف كلّها تحتمل الصّدق والكذب وهي أفعال تأكيديّة أو تقريريّة (assertifs) واتّجاه المطابقة في هذه الأفعال من الكلمات إلى العالم (mots-à-monde)»[22] وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في نقل الواقع نقلا أمينا «فإذا تحقّقت الأمانة في النّقل فقد تحقّق شرط الإخلاص، وإذا تحقّق شرط الإخلاص أُنْجِزَتْ الأفعال إنجازا ناجحا أو تامًا، وإلاّ أصبحت أخبارًا مَعِيبَة»[23]، كما تعتبر «الحالة النّفسيّة هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوّة، ومثال ذلك (سيأتي غدا) فالحالة النّفسيّة الّتي تعبر عنها إذن هي الاعتقاد»[24] فشرط القيّام بالعمل مرتبط بالنيّة في مقام أولى. ومثاله: «**كان الزمن يمرّ ثقيلاً على ريما وهي تنتظر إقلاع الطائرة...كلما سمعتْ صوت مضيفات المطار تقول: الطائرة ...ستتأخر نصف ساعة أخرى. عذرا للمسافرين. مع أنّ عادة التّأخر في بلادنا صارت جزءا من حياتنا اليوميّة. العامل مثلا، الذي يبدأ على السّاعة الثامنة يتأخّر إلى السّاعة العاشرة فما فوق، بينما يتسارع نفس النّاس لمغادرة عملهم قبل السّاعة الثّانية عشر. قلت لريما. جيّد أنهم على الأقل يعتذرون عن التّأخر**»[25]، قد يعمل السّارد في نقله للخبر وتحليله لوضع الشّغل في البلاد على أنّ نقطة الفعل

الكلامي الإثباتي هو التعهّد للمستمع بحقيقة الخبر، الذي ينقله وعندها يكون اتجاه الملاءمة من الكلمات إلى العالم، كما أنّ شرط الإخلاص يتمثل في النقل الأمين للواقعة من خلال التّعبير عنها، مع التّدليل بذكر القضيّة ونقيضها[26]؛ المتمثّلة في دخول العمال وخروجهم. ويمكن كذلك أنّ نسوق هذا المثال لصنف الإخباريّات، باعتبارها تصف وقائع وأحداث في العالم الخارجي مثل: **«السّيد وزير الثّقافة والاتّصال يكذّب كل الأخبار** يحتمل الكذب إذا لم يلتزم التّلفزيون بذلك، وهنا يكون اتّجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم الخارجي.

2- **التّوجيهيّات/الأمريّات:** تكمن وظيفتها في «محاولة جعل المستمع يتصرّف بطريقة تجعل من تصرّفه متلائما مع المحتوى الخبري للتّوجيه، وغرضها الإنجازي محاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين»[28]؛ أي التّأثير على «المُخَاطَب ليفعل شيئا ما، ويحاول المرسل تحقيق هذا الهدف بدرجات مختلفة تتراوح بين اللّين، وذلك بالإغراء أو الاقتراح أو النّصح، وبين العنف والشّدّة؛ وذلك بالإصرار على فعل الشّيء»[29]واتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في الإرادة والرغبة الصّادقة والشّرط العام للمحتوى القضوي هو دائما فعل السّامع شيئا في المستقبل، ويدخل في هذا التّصنيف (الأمر، النّهي، الاستفهام، النّداء...إلخ)»[30] مثاله هذا الحوار بين العمّة وابن أخيها: «**عاودتني صورة عمّتي من جديد....أول امرأة فكّرت في مصيري أنا ومريم والأولاد. قالت. اِرحل من تلك البلاد...كثيرون مثلك فعلوا نفس الشيء ووجدوا أنفسهم على مشارف الفاجعة. اِرحل. ما عندك ما تخسر. أنْتَ وَاشْ خَلّيتْ وْرَاكْ؟** »[31].

فالمتكلّم في هذه العبارات، يُوقِعُ بقوله فعلا، حيث يوجّه الأمر للمُخَاطَب ليثنيه عما هو **الّتي تقول بأنّ (الآذان) في التّلفزيون الوطنيّ، سيتوقف بثّه بعد شهر رمضان. بالمناسبة يُطمئن السّيد الوزير جميع المؤمنين بأنّ هذه السُنَّة الحميدة الّتي أعادت إلى التّلفزة وطنيّتها وتَرَسُّخها الدّيني، ستستمر بعد هذا الشّهر الكريم»**[27]، يكمن الغرض الإنجازيّ من سرد هذه الأفعال اللّغويّة في نقل الواقع نقلا أمينا، وقد يحتمل الصّدق؛ إذ التزم التّلفزيون باستمراره في بثّ الآذان بعد شهر رمضان، كما قد عازم عليه، كما يمكنه أنّ يُغيّر من مجرى حياته إن استجاب المُخَاطَب إلى أمر المتكلّم (فالأمر هنا طلبيّ) وعندها يكون الغرض الإنجازي من التّوجيهيّات هو التّأثير في المتكلّم ليفعل شيئا في المستقبل، واتجاه المطابقة فيه أن يطابق ما هو في الخارج أو العالم إلى الكلمات.

3- **الوعديّات/الإلزاميّات:** وغرضها الإنجازيّ، هو التزام المتكلّم بفعل شيء ما في المستقبل (غرض وعدي) واتّجاه المطابقة في هذا النّوع من الأفعال من العالم إلى الكلمات؛ فالإلزاميات والطلبيّات تشتركان في اتّجاه المطابقة، لكن المرجع فيهما مختلف، فهو في الإلزاميات المتكلّم وفي الطلبيّات المُخَاطَب، وشرط الإخلاص هو القصد (intention) والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلّم شيئا في المستقبل، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المتكلّم حيث الحالة النّفسيّة الواجبة هي صدق النيّة، وتتعلق بأفعال: الوعد، الوعيد، التّخويف، التّهديد، التّحذير التّرغيب. وهي مبنيّة على شرط الإخلاص[32]، كما ورد على لسان السّارد قوله: **«ريما: قالت بصوت مبحوح ومنكسر. بابا نحبّك بزّاف. وأنا كذلك. واش الدّوخة؟ أنا رايح. أَعِدُكِ بأنّي لن أتأخر»**[33].

يبدو الغرض الإنجازي هنا واضحا من المرسل، بأنّه يَعِدُ أو يلتزم بأداء فعل في المستقبل وقد يحتمل هذا الوعد أو الالتزام الصّدق، إن وفّى

المرسل بوعده، ويحتمل الكذب إن هو لم يوفِّ بوعده، فيكون شرط الإخلاص هو القصد من المتكلّم إلى ما هو عازم على فعله، باعتباره المسؤول عن إحداث المطابقة لهذا النّوع من الأفعال من العالم إلى الكلمات.

4-التّعبيريّات/البوحيّات: الهدف منها هو التّعبير عن الحالة النّفسية، والمشاعر والمواقف «بشرط أن يكون ثمّة نيّة صادقة، في محتوى الخطاب عن تلك الأمور المحدّدة »[34] وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التّعبير عن القضيّة. ويدخل في هذا الصّنف الأفعال الكلاميّة الإفصاحيّة، وتشمل الأفعال التّعبيريّة النّفسيّة، والاجتماعية، كأفعال (الشّكر، الاعتذار ...إلخ)[35] وتصدق على مرثيّة السّارد لصديقه يوسف بقوله: «صديقي الفنان. يوسف الذي اغتيل قبل يومين:

يا كلّ صديقي.

يا صديقي.

يا أنا.

... ومع ذلك قتلوك يا صديقي. وأسكتوا البحر. وغيَّبوا الشّمس مبكراً»[36].

نرصد من خلال البوح بهذه الملفوظات اللّغويّة، أفعالا كلاميّة، تفصح في تعبيرها عن مشاعر تنظر بعين الفجيعة والألم لحادث جلل؛ هو موت الصّديق العزيز وتأبينه بهذه العبارات الّتي تنمّ عن نيّة صادقة في التّعبير عمّا يختلج النفس من آلام وأحزان، فشرط الصّدق يتغيّر بتغيّر نمط التّعبير، فالرّثاء صادق؛ إذا كان المُرْثِي يشعر بحرقة أو ألم الموت حقا، حيث إنّ هذه الأفعال لم تكن قصرا على المتكلّم وحده، بل تجاوزته للمشاركين في الفعل الكلامي، ولم يكن اتّجاه المطابقة فيها لا بين العالم والكلمات ولا بين الكلمات والعالم. وهذا ما «يسمّيه "سورل" اتجاه المطابقة الفارغ.

5-الإقاعيّات/التّصريحيّات:

تعتبر الإيقاعيات: «أفعالا كلاميّة لها القوّة الإنجازية الّتي يمكن أن تُحدِث تغييرات معيّنة بملفوظاتنا، ويكون إيقاع الفعل فيها مقارنا للّفظ في الوجود»[37] فنحن نُوقّع بالقول فعلا «ويتّسع هذا النّوع من الأفعال ليشمل أفعال البيع والشّراء والإجارة والزّواج...إلخ. وهي ثلاثة أقسام: أفعال القرارات والأحكام، وأفعال التّصرفات -المنع والجوز-، وأفعال العقود، وأهمّ ما يميّز هذا الصّنف من الأفعال الكلاميّة أنّه «يتحقّق النّجاح في المطابقة بتغيّر العالم ليطابق المحتوى القضوي، بتمثيل العالم على أنّه تغيّر على هذا النّحو، فضلا عن أنّه يَقتضي عُرفا غير لغوي واتّجاه المطابقة قد يكون بين العالم والكلمات مُباشرا »[38] وهذا ما يسمّيه "سورل" «اتجاه المطابقة المزدوج وهي المتعلّقة بأفعال التعهّد وما يتّصل بالأفعال الكلاميّة المنجزة في إطار العرف غير اللّغويّ، أو الإطار المؤسّساتي، وهي مجموعة الملفوظات الّتي تختّص بإثبات تحقيق ما يَرِدُ بها من قول»[39] فيكون هناك تطابق بين الكلمات والعالم الخارجي، كما توحي به جملة هذه العبارات: «**عندما وَصَلنَا...وجدنا المكان تقاسمته ثلاث عائلات. خالي بلحاج احتلّ القلعة...وأولاده. وابنه العسكري...كانت العائلة بكاملها تقف في أوجهنا. صرخ خالي بلحاج؛ وحقّ محمّد اللي يخطو خطوة، نْقَلَعْ لَهْ وَالْدِيهْ. عُدْنَا على أعقابنا من كثرة الخوف**»[40].

لقد أثبتت هذه الأفعال اللّغويّة تحقيق ما أقسم المرسل على القيام به، تجاه من يخالف أمره فكان أنْ أبرّ المتلقي بقَسَمْ المرسل خوفا منه، فكان هناك تطابق بين الكلمات -الّتي ينفثها المرسل مهدّدا بها-مع العالم الخارجي بأن تراجع المتلقي عمّا كان عازم القيام به، وهنا يكون المرسل قد أوقع بالقول فعلا، تمثّل في الاستجابة من طرف المُخَاطَب (عدم دخول القلعة) فاتّجاه الملاءمة

يكون مزدوجا، لأنّنا نغيّر العالم، كما نحقّق اتجاه ملاءمة من العالم إلى الكلمة بتمثيله وكأنّه تَغَيَّرَ.

وبعد تقديمنا لأصناف الأفعال اللّغويّة الّتي عرضها "سورل" والتّمثيل لها من خلال الرّواية فهذا العمل لا يشفع لنا في صدّ أسئلة من نمط: ما الفائدة المتوخاة من اعتماد هذه التّصنيفات في الرّواية؟، فجوابنا أنّ جملة ما نستخلصه من التّصنيف السّورلي للأفعال اللّغويّة، الّتي اعتمدها السّارد بشكل مكثّف في الرّواية، قد يرجع لعدّة اعتبارات أهمها:

- **الإخباريّات:** الّتي تحمل في غالبها أخبار الصحف والمجلاّت والقنوات الإخباريّة، قد عملتْ على نقل الواقع نقلا أمينا، حينما تحقّق فيها شرط الاخلاص، فحقّقت بذلك الأفعال الإنجازية نجاحا وهي تحمل في رحمها قوّة إنجازيّة، سعى من خلالها المرسل للتّأثير على المتلقي من أجل تصديقه فيما ذهب إليه، وهذا مما عمل على التّقريب بين طرفي الخطاب كما عملتْ على نفس النّمط كلّ من:

- **الأمريات:** حيث قامتْ على الالتزامات القائمة بين الأطراف المتخاطبة، وكانت عادة من المتلقّي أي (المخاطب له قدرة على أداء المطلوب) إذ اعتمدت على التّحاور وهذا ما فَعَّلَ النّص فقام على جدليّة من الحوار بين الشّخوص الرّوائيّة، كما عملتْ الأمريات على تحريك ذهن المتلقي من أجل أنْ يتفاعل مع هذه الديناميّة الّتي تطرد الفتور **والملل عليه، عند احتكاكه بنص الرّواية.**

- **الوعديّات:** الّتي أَلْزَمَ المرسل من خلالها نفسه على القيام أو أداء عمل في المستقبل، لا عمل السّارد من خلال توظيفها للتّأثير في نفسيّة المتلقي، ومحاولة استعطافه واستمالته إليه، بعد السّعي للتّأثير على عقله بتقديم القضايا والتّدليل عليها بالحجج والبراهين، من أجل أن تكون له قابليّة التّعاون مع المرسل، لتصديقه بالأدلّة المقدّمة للقضايا المطروحة، وعندها قد يذهب القارئ إلى ما ذهب إليه السّارد.

تبتعد كثيرا في دورها الاستراتيجي عن الدّور الذي لعبته الطلبيّات أو الأمريات، لأنّها قامتْ بتفعيل النّص من الدّاخل في اعتماد الحوارات والالتزامات، مما أضفى على النّص نوعاً من الحركيّة والجدليّة الّتي عملت على تنشيط ذهن المتلقي، إضافة إلى الدّور الذي لعبته:

- التّعبيريّات: والّتي كان المرسل إزاءها بصدد البوح عمّا يختلج بنفسه من أحاسيس، وهذه الأحاسيس لا تبقى رهينة نفسه؛ بل تجاوزتها إلى المتلقي الذي قد يتفاعل معه حيث اعتمد التّعبير بنيّة صادقة فَاغْتُمِدَتْ التّعبيريّات كاستراتيجيّة لإيهام المتلقّي على أنّه عنصر فعّال في المجتمع حيث أدخل فيها (الشّكر، والتّعزيّة، والتّهنئة...) فحقّق من خلالها مكانا من نفس المتلقي.

- **التّصريحيّات:** لعبت دورا أكثر أهميّة، فأداءها النّاجح هو أن أوقع المرسل بالأقوال أفعالا فحقّق اتجاه ملاءمة من العالم الى الكلمة، بتمثيل العالم كأنّه تغيّر، فاعتمد المرسل التّصريحيّات كاستراتيجية إقناعية جالبة، دلّل من خلالها على حقيقة ما ادّعاه، فعمل على توظيفها في المتن بكونها حجّة عملت على محاولة سحب المتلقّي نحو التّصديق، بكل ما صرّح به المرسل.

ومنه يمكن اعتبار الأفعال الكلاميّة المتمثّلة في الإخباريّات، والأمريات، والوعديات والبوحيات والتّصريحيات بمثابة استراتيجيات، فيما ذهب إليه وعندها تكون الرّسالة قد حققت هدفين أساسيّين؛ هدف إمتاعي، نشأ من الحركية والديناميّة المبثوثة داخل المتن، وحققت هدفاً إقناعياً، حيث يجعل المتلقي ينصاع للطّرح الذي قدّمه –السّارد- ويقبل

- **الاستلزام الحواري في الرّواية:** تنحصر الرّواية على شبكة متعالقة من الحوارات القائمة

بين شخوصها، بحكم أنّ هذا الاستلزام «يتولّد نتيجة المغالطات التّداوليّة لأفعال الكلام، عندما يعمد أحد طرفي الخطاب إلى خرق مبدأ من مبادئ التّعاون الحواري، وهو ينبع منطقيًّا مما قيل في الكلام»[41] كما أنّه متغيّر دائما بتغيّر السّياقات الّتي يرد فيها، مثاله هذا الحوار الذي دار بين الأب وابنته: «**البنت: بابا، هل ستسافر مع ماما غدا؟ الأب: لا. ستسافرون جميعا. أنت. ماما. ياسين**»[42].

لو أجاب الأب مثلا؛ أنت تكثرين من الأسئلة، أو لماذا تسألين مثل هذا السّؤال؟ وردود كثيرة يمكن تركيبها، فعندها يكون الأب قد عمد إلى مغالطة ابنته وتظليلها لصدّها عن معرفة الإجابة الصّحيحة، وحينها يكون قد انتهك مبدأ التّعاون، والبنت بيقظتها وفطنتها قد تُدرك أنّ أباها يَحُولُ دون الإجابة عن سؤالها، وقد تراجعه في ذلك بإخراجها لعدة ملفوظات على شاكلة :

- بابا لماذا لم ترد على سؤالي؟ - أأنت لا تريد السّفر؟ - ألم يعجبك سؤالي؟...إلخ

وهنا يكون المتخاطبان أمام استلزام حواري، فينشأ حوار من جديد، تخلقه الظّروف المستجدة للكلام فيحدث بذلك خرق لمبدأ التّعاون.

المتكلّم إلى السّامع حديثًا مبنياً على أساس معرفة مسبقة للمخاطب بفحوى خطاب المتكلّم»[44] والرّواية لم تخل حواراتها القائمة بين شخوصها من الافتراض المسبق، بحكم التّقارب بينها، وهذا التّقارب يخلق معرفة قبليّة لما يُطرح من قضايا، أو يجعل الافتراض المسبق قائما في نفوس هذه الشّخصيّات مثل هذه العبارات الّتي تُلقي بها زوجة السّارد، تحذر من خلالها زوجها على أنّ ما يقوم به من فعل هو عين الخطأ: «**حبيبي، قلّل من خطايا النّبيذ والويسكي قدر الإمكان**»[45]، فمن كلامها أنّه في حدّ علمها أو من المفترض سلفا أنّ الزّوج كان مدمناً على تعاطي الكحول، وأنّ هناك مبررا يدعو إلى كفّه أو التّقليل من شربه لها على الأقل، وأنّ المخاطَب قادر على الحركة، وأنّ المتكلّم في منزلة الآمر النّاصح، وكل ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلّم بالمخاطب.

كما أن الاستلزام من سماته **التّغيّر**؛ فيأتي بأنماط متعدّدة ومختلفة، والرّواية لم تَسْتغنِ عن مثل هذه الأنماط المتعدّدة من الاستلزامات، الّتي ساقها السّارد على شاكلة هذه العبارة اللّغويّة الّتي صرّحت بها البنت ريما لأبيها: «**أنا جوعانة**». حيث يمكننا أن ندلّل باستلزام معين على استلزامات مختلفة انطلاقا من تعبير واحد، في سياقات مختلفة فالنطق بالعبارة: **أنا جوعانة**، تستدعي منّا الحاقها بسّياقات مختلفة يمكن أن ترد على شاكلتها فتكون جوابا لـ:

إذا قُدِّم لها مشروبا. ـــــ (اعتراض)

إذا ألقي إليها سؤالاً؛ ما بكِ؟ ـــ (إخبار)

إذا أُعطيتْ حُقنة ـــ (امتناع)

- **متضمّنات القول في الرّواية:** نُطلق على متضمّن القول كلّ «مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنيّة وخفيّة من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامّة كسياق الحال وغيره»[43].

ومن أهمّها:

-**الافتراض المسبق** (présupposition): يقصد بالافتراض المسبق كأنْ «يوجّه

- **المقصدية من الرّواية:** تنحصر المقصدية بمفهومها الشامل على جانبين، جانب **تبليغي** إخباري، وجانب **تواصلي**، من منطلق «أنّ الحجّة الموجهة تنضوي على طبقات من القصود (بمعنى النيات) وطبقات من المقاصد(بمعنى الأهداف)؛ أمّا القصود، فمنها القصد إلى اخبار المستمع بالحجّة، والقصد إلى إخباره بهذا القصد

نفسه وهكذا، ومنها القصد إلى إقناع المستمع والقصد إلى تعريف المستمع بهذا القصد الأول، وهلمّ جرّا، وأما المقاصد، فمنها الأفعال الّتي يريد المتكلّم من المستمع القيام بها»[46] فتكون النيات مرتبطة بتحقيق المقاصد والأهداف في الخطاب. كما يقوم مفهوم الدلالة غير الطبيعية للتوليفات الخطابية (signification non-naturelle) على تصوّر يكون فيه القصد التّخاطبي قصدان: قصد تبليغ محتوى معين وقصد تحقيق هذا القصد نتيجة لتعرّف المخاطب عليه[47] انطلاقا من تّحديد الرّسالّتين الامتاعية والاقناعية، فإنّ هذه الأخيرة اعتمدها الكاتب من أجل أن يحقّق من ورائها استراتيجية للتّأويل، تقف على حدّ «يكمن في التنبؤ بسلوكيات الأشخاص بالوقوف على مقدمتين: تشير المقدمة الأولى إلى أنّ الأشخاص هم عوامل أو ذوات عقلانيّة، وتشير الثّانيّة إلى أنّ

- غاية قصده إفهام المرسل إليه، أو حمله على القيام بفعل معين أو اتخاذ موقف معيّن اتجاه قضية معينة.

تظهر لنا مقصدية السّارد؛ أنّها مقصدية اتصال(متّصلة) بالموضوع، وهذا الاتّصال تأسّس من خلال سلسلة تجارب مرّت بها الذّات العارفة بالموضوع-الّتي تشعر بالموضوع-ولذلك «عدّ القصد لبّ العملية التّواصلية، وعاملا أساسيا في استعمال اللغة وتأويلها، وقد أدرك الباحثون ذلك في كل العلوم الّتي تتعلق بلغة الخطاب، ولاحظوا أنّها تعمل على بلورة المعنى، كما هو عند المرسل الذي عليه إيجاد كيفية التّعبير عن مقصده، واختيار الآليات المناسبة لنقله مع مراعاة العناصر السياقيّة الأخرى»[50] الّتي تتدخّل في بلورة وتوجيه الخطاب.

1-القصد الإخباري التّاريخي intention informatif historique: وهو ما يقصد إليه المتكلّم من حمل لمخاطبه على معرفة معلومة معينة، هذه المعرفة الّتي ليست سوى ما أراده المتكلّم من هؤلاء الأشخاص، هم نتاج معتقداتهم ورغباتهم وأحوالهم الذهنية»[48] والمقاصد هي: المزاوجة بين العوامل العقلانية، مرتبطة بالمعتقدات والرغبات والأحوال الذهنية، فما كان على الكاتب إلاّ إعمال جهده من أجل توفير الآليات الّتي تسعف القارئ في الغوص داخل المقروء والقبض على هذه المقاصد، دون أيّة معاناة من منطلق أن يتجنّب الكاتب الغموض والإحالات البعيدة، وقلّة الاستدلال...إلخ، وعلى غرار هذا المفهوم المقاصدي، أمكننا من خلال دراستنا لرواية (ذاكرة الماء) القبض ليس على مقصدية واحدة بل على مقصديات عدّة لا تخرج على نمطين اثنين كما «يميزهما بعض المشتغلين على نظرية غرايس أمثال "سبربر" و"وولتسن" هما: **القصدية الإخباريّة، والقصدية التّواصليّة** »[49] واللّتان يسعى المرسل إلى تحقيقهما، باعتبار أنّ الكلام، فكل كلام يحمل في الغالب خبرا (مضمونا) وهذا الخبر «سواء توخّد أو تعدّد إنّما يأتي ليُبين عن موقف خاص من قضيّة، فيكون بذلك مفيدا لأمر قد يعرفه المخاطب تذكيرا وتنبيها، أو يجهله فيكون تعريفا له وتبصيرا»[51] كما عمل السّارد على اختزال معظم الأحداث التّاريخية الكبرى الّتي مرّت بها الجزائر بعد الاستقلال إلى غاية العشرية السّوداء ويرى أنّ الدّاء الذي نخر جسد الأمّة الجزائريّة ذو أصول تعود إلى مرحلة ما قبل الاستقلال وبعده.

2-القصد التّواصلي التّاريخي intention communicatif historique: قد يُعبر عنها بالمعرفة المشتركة والقصد؛ أي ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطبه على معرفة قصده الإخباري، فيرى "جون لايبنز" «أنّ نجاح التواصل لا يتوقف على المتلقي الجيد للكلام فحسب بل عليه أن يدرك القصد التّواصلي للمرسل، وأن يتفاعل معه فعليا...وهذا هو المعروف عندنا في تراثنا التداولي القديم بقصد الإفهام والتفاهم»[52] وعندها يكون

القصد الإخباريّ وسيلة لبلوغ القصد التّواصليّ، بناء على هذا القصد عمد السّارد إلى التّنويه بسيّاسة الحكم المنتهجة على حدّ تعبيره: (الشعب ركبوا عليه)، وأن هناك سياسة تهميش وإقصاء لفئة بعينها من أبناء هذا الشّعب؛ إنّها الفئة المثقّفة، يريد من ورائها الحاكم قتل روح العلم والمعرفة ويُبقِي على الجهل والأميّة اللّتين يحقق من ورائهما خرابا للبلاد على جميع الأصعدة، ممّا أدّى إلى حدوث رجّة عنيفة على عدّة مستويات، قَلَبَتْ وضع البلاد رأسا على عقب، أبرزها أحداث أكتوبر 1988 وأحداث العشريّة السّوداء، واللّتان تُعَدَّان المحطّات الكبرى الّتي توقفت عندها الرّواية، والّتي ربطها بطبيعة الحقبة الّتي تَمَيَّزَ بها جيل ما بعد الاستقلال الذي عاش فترة الاستعمار والحريّة الّتي بدورها كانت سببا في أحداث عارمة، مرّت بها الجزائر نتيجة النّفسيّات المتأزّمة من الثّورة الاستعماريّة. فالقصد التّواصلي (التّداولي) منصب على كشف حقيقة المسؤولين الذين يديرون الحكم في الجزائر مع محاولة وضعهم في أماكنهم الطّبيعية أمام الشّعب.

3-مقصدية إخبارية اجتماعيّة: تتجلّى حين «نعتمد التحفيز الاجتماعي الذي نصف من خلاله أفعالنا التّواصليّة كعينة، ونستنبط من ذلك أهدافا ومقاصد»[53] نعرف من ورائها طبيعة التّقسيم الذي اعتمده السّارد للمجتمع الجزائري، حيث تمثّلت في طبقات ثورية؛ طبقة المجاهدين، وطبقة الشّعب وطبقات سياسيّة؛ الإسلاميون، والشّيوعيون، الّتي كان لكلّ منها دور في الرّواية، يجسد لنا مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، حيث وَرِث المجاهدون تحت اسم جبهة التّحرير الوطني الحكم عن الشّعب، بعد ان استمدّ المجاهدون أنفسهم قوّتهم من هذا الشّعب إبّان الثّورة التّحريريّة.

كما كان للثّنائيّة السّياسية (المسؤولين والشّعب) بكافة طبقاتهم، دور مهم في الأحداث الداميّة الّتي عاشتها الجزائر خلال العشريّة السّوداء، حيث يصوّر السّارد كيف أنّ الدّاء بدأ ينخر جسد هذه الأمّة، منذ أن رحل المستعمر الفرنسي عن البلاد، وبدأ الناس في تقسيم التّركات الّتي خلّفها المستعمر، بدليل قوله: «**خالي بلحاج ورث القلعة ...وعندما حاولنا أن ندخل الثّكنة...صرخ خالي بلحاج...وحقّ محمد اللّي يخطو خطوة نقلّع له والديه. عدنا على أعقابنا من كثرة الخوف...بلحاج استفاد من سطوة ابنه العسكري. الذي عمل مع الجبهة وظلّ مسلحا حتّى بعد انتهاء الحرب...ولد خالي بلحاج الذي ظل يطاردنا بصرخاته المعهودة. شبابي كلاتو الغابة...في المدن أخذوا القصور والفلاّت وهنا استكثرتم علينا ثكنة عسكرية**»[54].

هذه هي حقيقة الذّهنيّة الجزائريّة الّتي وَرِثوها عن آبائهم وأجدادهم الذين عايشوا فترة ما قبل الاستقلال، حيث كانت حقيقة الضّباط الوطنيين تخالف ظاهرهم، فقبل الاستقلال بشهور صعدوا إلى الجبل ليعودوا بعدها فاتحين، ثم سيطروا على ما خلّفه المستعمر، وتقاسموا خيرات البلاد مع أهاليهم وذويهم لا حق للآخر معهم، إلاّ من سار على شاكلتهم، فتولوا المناصب العُليا في الحكم فأصبحوا ساستها وقادتها فساسوا البلاد بلغة الحديد والنّار، لا يقنعون بالقليل ولا يتورعون عن أخذ الكثير، وجسد البلاد يتهاوى يوما بعد يوم، حتّى تفاقمت الأوضاع، وعمّ الاحتقان بصورة لا مثيل لها، في أوساط الشّعب الذي كان يرضخ تحت وطأة الفقر والجهل، اللّذين يسيران به نحو طريق مسدود، وعندما بلغ العبث ذروته ومنتهاه، انفجر الشّعب على طريقته الّتي يرى أنّها توصله إلى المخرج من هذا المأزق الذي نُسِجَت خيوطه بأيادي مافيا إجرامية، لا زالت تتحكم في روح الأمة وجسدها، فاندسّت أيادي الإجرام في أوساط الشّعب، لتعمل على ذبحه واستئصال شفته، بتهديم بناه التّحتيّة

والمتمثلة في الطبقة المثقفة؛ الّتي تزرع فيه روح المبادرة، وتلهمه آليات النّهوض بمستقبله إضافة إلى التّفكير الرّجعي والتّخريبي على شاكلة بعض شخصيّات الرّواية، الّتي جاءت طبيعتها منافية للأخلاق والقيم الاجتماعية، الّتي تلبّس بها الفرد الجزائري، مثل: «**عبدالله: راك غالط. النّاس يحضّرون أنفسهم للأيام القادمة عندما يتوقف هذا النّزيف (العشرية السّوداء). أنا من الّذين يفكرون في المغادرة للبلاد حتّى يستقيم الوضع وأعود فاتحا كما فعل الأجداد الذين صعدوا إلى الغابة في اليوم الأخير من الحرب، ونزلوا من هناك أبطالا...عبد الله! أستاذ جامعي، لا أدري كيف نوقشت رسالته ولا متى، وصحفي محترف، ولا أعلم مطلقا من أيّ جامعة تخرّج؟ وخبّازورث مخبزه في وسط المدينة عن والده...طريقته في التّدريس في الجامعة خاصّة. يعطي درسا في بداية السّداسي، ودرسا في نهايته ثم يمتحن الطّلبة في درسين. هو مرتاح الطلبة مرتاحون...والإدارة لا تريد تكسار الرّاس**»[55].

يسهب السّارد في سرد قصة عبد الله باعتبارها مرآة عاكسة لشخصيّات ما بعد الثورة، حيث أنّ وجودها في المجتمع أدى إلى صقل شعب بنفسيّات تتغلّب فيها الأنا الفردية على الأنا الجمعية ممّا وَرَّثَتْ هذه النّظرة المعيّاريّة الآنويّة، شعبًا يواجه معترك الحياة اليوميّة بذهنيّات تعمل على استئصاله، من منطلق أنّه شعب لا ينظر للحياة إلاّ من جانب العيش بلا هدف ولا غاية «**هذا الشعب يتآكل مثل بناياته وطرقاته ومؤسساته صار غاشي. لا يعي شيئا ولا يريد أن يعرف شيئا. أصلا لم يكن معنيا بما كان يدور في محيطه فهو سيرفع راية المبايعة لأول منتصر. لقد شوهوه من الدّاخل حتّى صار مثل القصبة الفارغة [...]عوّدوهم على تنكيس رؤوسهم مثل الرّايات المهزومة، لا يرون إلاّ بقايا البصاق والتّنخيم الملتصق بالإسفلت الملوّن بالظّلمة[...]مع أنّ هذه المدينة شيء آخر**»[56].

ومما يدعو للرّيبة والشّك، أنّ العقل أصبح لا يستوعب هذه الحقائق، كيف أنّ أبناء الوطن يتحاملون على إفنائه من كل الجهات وبشتّى الوسائل والطرق.

4-مقصديه تواصليّة اجتماعيّة: يتمّ التّواصل بين المتخاطبين على علاقة متينة بين القصد والمعرفة المشتركة «ويمكننا القول إنّ المعرفة الّتي نملكها كمستعملي لغة ما عن التّفاعل الاجتماعي، عن طريق اللغة، ليست سوى جزءا من معرفتنا الاجتماعية، الثّقافية العامّة، هذه المعلومات العامّة عن العالم هي أساس فهمنا لا للخطاب فحسب بل ربما لكل جوانب خبراتنا الحياتية »[57]، وقد تتلخص مجمل المقاصد التّواصلية أو التّداوليّة في أنّ السّارد لا يحكي مآسي شعب بقدر ما يدعو إلى تغيير الذّهنيات مستندا في أطروحاته على بعض الحقائق التّاريخية الّتي عايشها بنفسه في ظرف عصيب، ينقلها بحرقة وأسف مريرين، آخذا الأمر على علاّته، يدلّل على حقيقة ما يدّعيه بالحجّة والبرهان، مستقصيا تخلّق هذه الذهنيّات في رحم المجتمع الجزائري إلى أنْ انفجر على ثورة عارمة، تمثّلت في ثورة أكتوبر1988، والّتي أدخلت البلاد بعدها في دوّامة صراع لم تخرج منها إلاّ بعد أن حصد الموت خيرة أبنائها، تاركا وراءه أثرا لا تزال البلاد تعاني مغبّاته إلى اليوم.

- **خاتمة:** جاءت دراستنا لرواية "ذاكرة الماء" قراءة تداولية، حاولنا من خلالها تحديد معظم الآليات التّداوليّة، الّتي تمّ توظيفها في تحقيق المقصدية العامّة من الرّواية وباعتمادنا المقاربة التّداوليّة، في قراءة هذا النّوع من الأعمال الأدبية -على الرغم من صعوبتها التّطبيقية والنظرية- توصّلنا إلى أنّه لا يمكن إطلاقا التّقليل من شأنها في فحص الخطابات الأدبية وتحليلها،

والّتي تنظر إليها المقاربة التّداوليّة على أساس أنّها خطابات تواصليّة، تمّ توظيفها في سياقات معيّنة، وتحمل مقاصد محدّدة، والنّص الأدبي باعتباره أحد أنواع هذه الخطابات، في جوهره يتأرجح بين المعاني الحرفية والمعاني المجازية، والمعاني السّياقية، ويجمع بين الأدوار النحوية والأدوار الدّلالية، والأدوار التّداوليّة، وينتقل في سلّمه التّعبيري والحجاجيّ من التّركيب والدّلالة، إلى التّداول السّياقي والمقامي، ومن ثمّة تحقيق المقصدية من الخطاب، الّتي تعتبر بمثابة الهدف الأسمى، الذي تسعى عناصر التّحليل إلى تحقيقه عبر إثبات صحّة سلسلة من المفاهيم يمكن ضبطها في جملة من النّتائج المتوصّل إليها من تطبيقنا لهذه النّظرية على الرّواية أهمها:

- تركز التّداوليّة باعتبارها منهجا نقديا على توظيف الآليات الّتي يعتمدها المتكلّم في إنتاج الخطابات وفهمها، على دراسة النّص في سياقه التّخاطبي والتّفاعلي، وذلك بالتّركيز على أفعال الكلام، وعمليّات التّخاطب، والتّفاعل، والإحالة، والسّياق، والمقصدية، والوظيفة، والتّأويل والاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، والاهتمام بالمتلقي...إلخ؛

- لاقت الرّواية استجابة بكامل فصولها لآليات التّحليل التّداولي، كما أنّها تعتبر نصًّا تاريخيّا بامتياز، يمكن اعتماده في نقل الأحداث والوقائع التّاريخيّة، الّتي مرّت بها الجزائر في مرحلة من مراحل تاريخها، من منطلق اعتبار السّارد نفسه شاهدًا حيًا ومخضرمًا-عايش الفترتين قبل الاستقلال وبعده-ودليلاً مرجعيّاً على صحّة هذه الوقائع التّاريخيّة؛

- تتحقّق لنا مقصدية الإخبار الّتي يعمد السّارد من خلالها إلى تحقيق مقصدية تواصلية يهدف من خلالها إلى حمل المتلقي على القيام بأسباب النهوض بعد معرفة أسباب العلّة والمرض؛

- لجأ السارد في الرواية إلى الأساليب المباشرة التّصريحية في التّعبير عن مقاصده، إلاّ أن هذا لا يمنع من وجود بياضات في المدونة، يملأها القارئ، وفي هذ إعطاء ديمومة وتحيين لها عبر العصور، من خلال تعدّد عملية الفهم والتّأويل عند المتلقي، الذي أخذ وجودا افتراضيا في ذهن السّارد؛

- إنّ اعتماد المنهج التّداولي وتوظيفه في قراءة أدبنا الجزائري، كفيل بأن يفتح نافذة جديدة لأدبنا الرّوائي وتفعيله ليعطي ثماره ويستعيد مكانته بين الآداب العربية والعالمية؛ لأنّه مرآتنا كما يعبّر عن أصالتنا وانتمائنا.

الهوامش:

1) محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2002، ص11.

2) ينظر: مسعود صحراوي: التّداوليّة عند العلماء العرب، ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، 2005، ص20.

3) جون لانجشو أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، تر: عبد القادر قينيني، دط، أفريقيا الشرق، المغرب، 1991، ص6.

4) م. ن، ص. ن.

5) ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التّداوليّة، تر: محمد يحياتن، دط، ديوان المطبوعات، الجزائر، دت، ص22.

6) جون لانجشو أوستين: م. س، ص6.

7) طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، دط، مطبوعات الجامعة الكويتية، الكويت، 1994، ص5.

8) واسيني الأعرج: ذاكرة الماء، ط4، ورد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، 2008، ص34.

9) محمود أحمد نحلة: م. س، ص67.

[10] أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورجين هابرماس، دط، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2012، ص162.

[11] الرّواية، ص22.

[12] مسعود صحراوي: م. س، ص41.

[13] الجيلالي دلاش: م. س، ص24.

[14] مسعود صحراوي: م. س، ص42.

[15] ينظر: صابر الحباشة: لسانيات الخطاب، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2010، ص97.

[16] الجيلالي دلاش: م. س، ص24.

[17] خليفة بوجادي: في اللسانيات التّداوليّة، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص96.

[18] جون لانجشو أوستين: م. س، ص119.

[19] محمود أحمد نحلة: م. س، ص69.

[20] الرّواية، ص345.

[21] طالب سيد هاشم الطبطبائي: م. س، ص8.

[22] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ط1، دار الكتب الوطنية، بن غازي، ليبيا، 2003، ص158.

[23] محمود أحمد نحلة: م. س، ص47.

[24] فليب بلانشيه: التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، 2007، ص66.

[25] الرّواية، ص122.

[26] ينظر: جون سورل: م. س، ص217.

[27] الرّواية، ص72.

[28] جون سورل: العقل واللّغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، تر:سعيد الغانمي، ط1 الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2006، ص218.

[29] عبد الهادي بن ظافر الشهري: م. س، ص158.

[30] طالب سيد هاشم الطبطبائي: م. س، ص32.

[31] الرّواية، ص100.

[32] ينظر: محمود أحمد نحلة: م. س، ص50.

[33] الرّواية، ص202.

[34] فليب بلانشيه: م. س، ص66.

[35] ينظر: فليب بلانشيه: م. س، ص66.

[36] الرّواية، ص23.

[37] عبد الهادي بن ظافر الشهري: م. س، ص158.

[38] طالب سيد هاشم الطبطبائي: م. س، ص29.

[39] كاترين فوك بيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984، ص137.

[40] الرّواية، ص45.

[41] جورج يول: التّداوليّة، تر: قصّى العتّبي، ط1، الدّار العربية للطّباعة، بيروت، لبنان، 2010، ص51.

[42] الرواية، ص80.

[43] مسعود صحراوي: م. س، ص30.

[44] محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، 2004 ص45.

[45] الرّواية، ص184.

[46] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص259.

[47] ينظر: إدريس مقبول "في تداوليات القصد"-مجلة دورية محكمة-المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، ع5، مج28 مكناس، المغرب، 2014، ص1212.

[48] عمر بلخير: مقالات في التّداوليّة والخطاب، دط، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2013، ص66.

[49] نقلا عن: آن ربول وجاك موشلار: التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ط1، دار الطليعة للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2003، ص79.

[50] صلاح اسماعيل: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، ط1، الدّار المصرية للطباعة والنّشر، القاهرة، مصر، 2005، ص87.

[51] نقلا عن: إدريس مقبول: م. س، ص1212.

[52] نقلا عن: أن ربول، جاك موشلار: م. س، ص79.

[53] ڤولفجانج هاينه مان وديترفيهڤجر: مدخل إلى علم لغة النّص، تر: سعيد حسن بحيرى، ط1، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، مصر، 2004، ص266.

[54] الرّواية، ص46.

[55] الرّواية، ص263.

[56] الرّواية، ص52.

[57] ج.ب. براون، وج. يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليتي، ومنير التركي، دط، النشر العلمي والمطابع الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997، ص279.